بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها
لكفتهم ووعى سله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجوع الحكم الاول
منسوخا بالثاني والثالث بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية و
انتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك
لما عدت مراجعاتهم الحكية من الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر بدون الوقوف
على المامور مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا
منصوب بمضمر كما مر نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واسناد القتل والتدارء اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتخصيصها
بالاسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم
نفسا محترمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدفع الاخر وتدافعتم
بان طرح كل واحد قتلها الى الاخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة
الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار واعمال مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم
وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة في النفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتاويل الشخص والقتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف
وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها واما تغيير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ و
تثنية التقريع فان كل واحد من قتل المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم
بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من
التوبيخ واما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب
لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والابتناء على رأيه كذلك يحيي الله الموتى
على ارادة القول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيي قلنا كذلك الخ
فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك اى على الخطاب
في كذلك مع الحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية
عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله

الموتى

الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات
هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت
واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اى لكي تكمل عقولكم
وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل
الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة
اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى
والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها
بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى
عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير
مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه
فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من
التدارء والنزاع ثم قست قلوبكم استبعاد لقسوة قلوبهم عن التأثر بالخطاب والقوارع التي تميع منها الجبال
وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية
لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار
على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد
مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما
ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات المزيلة للقسوة وتوجبها نحو الحق اى من
بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطبين
كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد قسوة اى في القسوة مثل الحجارة او زائدة
عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع ما سبق فعلية للدلالة
على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه
على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة
حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على

Copyright © King Saud University